الباب الأول
عذاب الدنيا فى القرآن والسنة

أنـزل الله تعـالى القـرآن الكـريم تبيانا لكل شيء ، وأوضح فيه جزاء الموحدين وعقاب الظـالمين ، وجعـل النار ردعا للناشزين عن طريقه المستقيم وجعل البلاء والعذاب فى الدنيا لإصلاح ما أفسدته عقول الضالين عن سبيله حتى يتعظوا ويرجعوا إلى طريق الهداية .

ولذلك وبتوفيق من الله قسمت هذا الباب إلى فصول ثلاثة هى:

الفصـــل الأول: عذاب الدنيا فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية

الفصـــل الثانى: عذاب الدنيا لآدم عليه السلام وولده قابيل

الفصل الثالـــث: عذاب الدنيا لقوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود

* * *

obeikandl.com

الفصل الأول
عذاب الدنيا فى القرآن الكريم

وردت كلمة العذاب ومشتقاتها فى القرآن الكريم فى (٣٨٥) موضعا بآيات الله، أما كلمة العذاب فى الدنيا فلقد وردت فى مواضع عدة نذكر منها:

١ - وفى سورة البقرة:

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٤٩].

٢ - وفى سورة البقرة:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

٣ - وفى سورة المائدة:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣٣].

٤ - وفى سورة الأنعام:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٧].

٥ - وفى سورة التوبة:

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٤].

obeikandl.com

٦ – وفى سورة التوبة:

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

٧ – وفى سورة يونس:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يونس: ٥٠] .

٨ – وفى سورة الكهف:

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [الكهف: ٨٧] .

٩ – وفى سورة الحج:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحج: ٨] .

١٠ – وفى سورة النور:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور: ٢٣] .

١١ – وفى سورة الحشر:

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ [الحشر: ٣] .

* * *

obeikandl.com

ثواب عـــذاب الدنيا
فى السنة النبوية

من عدل الله ورحمته ؛ أن جعل عذاب الدنيا لـه فضلاً كبيراً على البشر ، وخيراً عظيماً علـى المبتلين الصابرين من عباده ، وأجراً واسعاً منه سبحانه وتعالى يوم القيامة ، فلا عقابين على ذنب واحد فى شريعة الله ، ولا يظلم ربك أحدا .

ولـذلك أوحـى الله تعـالى إلى نبـيه ورسـوله ﷺ أن يوضـح ويبين ثواب عذاب الدنيا ، والفضائل التى يجنيها العبد الصابر فى حياته وقبل موته ، وهى:

لحم طيب ودم نقى

أخـرج الإمـام مالـك فـى الموطأ ، عن عطاء بن يسار (رضى الله عنه) قال: «**إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين ، فقال: انظرا ماذا يقول لعواده ، فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثـنى عليه ، رفعا ذلك إلى الله عز وجل – وهو أعلم – فيقول: لعبدى علىّ إن توفيته أن أدخلـه الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدل لـه لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته**» .

حظ المؤمن من النار فى الدنيا

أخـرج ابـن ماجـه فـى سـننه ، عـن أبـى هريـرة (رضـى الله عـنه) عـن النبـى ﷺ أنـه عـاد مريـضا ومعـه أبـو هريـرة ، مـن وعـك كـان بـه ، فقـال رسـول الله ﷺ : «**أبشر فإن الله يقـول: هـى نـارى -أى الحمـى - أسـلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا ، لتكون حظه من النار فى الآخرة**» .

تكفير الذنوب

روى البخارى ومسلم عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ : «**ما من مـرض ، أو وجـع يـصيب المؤمن إلا كان كفارة لذنوبه حتى الشوكة يشاكها أو النكبة ينكبها**» .

كتابة أجر عمل صالح لم تفعله

روى البخارى فى صحيحه ، عن أبى موسى الأشعرى (رضى الله عنه) قال: سمعت النبى ﷺ - غير مرة ولا مرتين - يقول : «**من كان يعمل عملا من حيى ، فشغله عنه مرض**» أو قال: «**سفر أو سقم؛ كتب لـه كصالح ما كان يعمل وهو صحيح**» .

الجنة عوضا عن العمى

أخرج البخارى ، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه** - أى عينيه - **ثم صبر ، عوضته الجنة**» .

من رضى لـه الرضى

أخرج أبو عيسى الترمذى وقال: حديث حسن غريب ، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله عز وجل ، إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط**» .

الخير كله للمؤمن

روى مسلم فى صحيحه عن صهيب بن سنان (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «**عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا لـه ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا لـه**» .

ثواب خمسين صديقا

أخرج ابن أبى الدنيا ، والبيهقى فى الشعب ، عن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: «**هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ، ألا إنه من رغب فى الدنيا ، وطال أمله فيها ، أعمى الله قلبه على قدر ذلك ، ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم ، وهدى بغير هداية ، ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ، ولا المحبة إلا باتباع الهوى ، ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضاء وهو**

يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز ، لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى ، أعطاه الله ثواب خمسين صديقا» .

صبر على فقد ولد فأعطاه الله سبعة

روى البخارى ومسلم والطبرانى ، عن الرميصاء أم سليم - رحمها الله - أنها قالت: توفى ابن لى ، وزوجى أبو طلحة غائب ، فقمت فسجيته فى ناحية البيت ، فقدم أبو طلحة ، فقمت فهيأت له إفطاره ، فجعل يأكل ، فقال: كيف الصبى ، قلت: بأحسن حال بحمد الله ومنه ، فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك ، حتى أصاب منى حاجته ، ثم قلت:

ألا تعجب من جيرانك ، قال: ما لهم ، قلت: أعيروا عارية ، فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال: بئس ما صنعوا ، فقلت: هذا ابنك كان عارية من الله تعالى ، وإن الله قد قبضه إليه ، فحمد الله واسترجع ، ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره ، قال: «**اللهم بارك لهما فى ليلتهما**» ، قال الراوى: فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن .

نيل رضوان الله بكلمة

أخرج ابن ماجه والترمذى وقال: حسن صحيح ، عن بلال بن الحارث (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، ما يظن أن تبلغ به ما بلغت ، فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، ما يظن أن تبلغ به ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة**» .

تضحك الناس فتهوى فى جهنم

أخرج ابن أبى الدنيا بسند حسن ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال النبى ﷺ : «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه ، يهوى بها أبعد من الثريا**» أى أبعد أعلى النار .

لا تعيّر أخاك ولك الأجر

أخرج أحمد والطبرانى بإسناد جيد، عن جابر بن سليم وهو - أبو جرى الهجيمى - رضى الله عنه، قال: قال أعرابى لرسول الله ﷺ: أوصنى، قال: «**عليك بتقوى الله، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك، فلا تعيره بشيء فيه، يكن وباله عليه وأجره لك، ولا تسبن شيئا**».

الكذاب يعذب فى قبره

أخرج البخارى من حديث سمرة بن جندب (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى: قم، فقمت معه، فإذا أنا برجلين أحدهما قائم، والآخر جالس، بيد القائم كلوب من حديد، يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان، فقلت للذى أقامنى: ما هذا، فقال: هذا رجل كذاب يعذب فى قبره إلى يوم القيامة**».

الفضيحة إذا تتبعت عورة أخيك

أخرج ابن أبى الدنيا، وأبو داود بإسناد جيد، عن أبى برزة (رضى الله عنه) قال: قال البراء بن عازب: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته**».

عذاب البول والغيبة

أخرج ابن أبى الدنيا، وأبو العباس الدغولى بإسناد جيد، من حديث جابر (رضى الله عنه) قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى مسيرة، فأتى على قبرين يعذب صاحباهما، فقال: «**إنهما يعذبان، وما يعذبان فى كبير، أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله**».

فدعا بجريدة رطبة، أو جريدتين فكسرهما، ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر،

وقال: «**أما إنه سيهون من عذابهما ، ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا**» .

ثواب من كظم غيظا

أخرج أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه ، دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره فى أى الحور شاء**» .

رد مظلمة أخيك فى الدنيا

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال ، فليستحللها منه ، من قبل أن يأتى يوم ، ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يؤخذ من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات ، أخذ من سيئات صاحبه ، فزيدت على سيئاته**» .

تحيز لك الدنيا بثلاث

أخرج الترمذى ، وقال: حديث حسن غريب ، وابن ماجه: من حديث عبيد الله بن محصن (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «**من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه وله قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**» .

اعف عن قريبك يغفر الله لك

روى البخارى ومسلم من حديث عائشة (رضى الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ : «**لما حلف أبو بكر – رضى الله عنه – ألاَّ ينفق على مسطح – وكان قريبه لكونه تكلم فى واقعة الإفك نزل قول الله تعالى:**

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]» .

قال أبو بكر: نعم نحب ذلك ، وعاد إلى الإنفاق عليه .

التكبر والثرثرة فى الدنيا

أخرج أحمد من حديث أبى ثعلبة الخشنى (رضى الله عنه) وفيه انقطاع، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أحبكم إلينا وأقربكم مجالساً منا فى الآخرة، أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا: الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون**» قالوا يا رسول الله: قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**».

يحشرون مثل النمل

أخرج الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (رضى الله عنهم) وقال: حديث غريب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر - تطؤهم الناس - ذرا فى مثل صور الرجال، يعلوهم كل شىء من الصغار، ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له: بولس، يعلوهم نار الأنيار، يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار**».

كالحمار فى الدنيا

روى البخارى ومسلم من حديث أسامة بن زيد (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ: أنه قال: «**يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتابه - أى أمعاؤه - فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيطيف به أهل النار، فيقولون: ما لك، فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن الشر وآتيه**».

التمس رضا الله فى الدنيا

أخرج الترمذى والحاكم، وفى مسند الترمذى من لم يسم من حديث عائشة (رضى الله عنها): كتب معاوية رحمه الله إلى عائشة (رضى الله عنها): أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى، فكتبت إليه: من عائشة إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس سخط الله برضا الناس، وكله الله إلى الناس**» والسلام عليك.

الرجم يلغى عذاب الآخرة

أخرج مسلم من حديث بريدة بن الخصيب (رضى الله عنه) أن ماعز بن مالك أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنى قد ظلمت نفسى وزنيت وإنى أريد أن تطهرنى، فرده، فلما كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله: إنى قد زنيت فرده الثانية، فلما كان فى الثالثة، أمر به فحفر له حفرة، ثم أمر به فرجم.

فكان الناس فيه فريقين، فقائل يقول: لقد هلك وأحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أصدق من توبته، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم**».

وجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله، إنى قد زنيت فطهرنى، فردها، فلما كانت من الغد قالت: يا رسول الله: لم تردنى، لعلك تريد أن تردنى كما رددت ماعزا، فوالله إنى لحبلى، فقال رسول الله ﷺ: «**أما الآن فاذهبى حتى تضعى**»، فلما ولدت أتت بالصبى فى خرقة، فقالت: هذا قد ولدته، قال: «**اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه**»، فلما فطمته أتت بالصبى وفى يده كسرة خبز، فقالت: يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه فسبها فسمع رسول الله ﷺ سبه إياها فقال: «**مهلا يا خالد: فوالذى نفسى بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له، ثم أمر بها**» فصلى عليها ودفنت.

الدرجة العالية ببلاء شديد

روى أبو داود، وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمى عن أبيه عن جده، وقال صحيح لغيره، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى، لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك**».

عطاء الله للعاصى استدراج

روى أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب بسند حسن، عن عقبة بن نافع (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته،**

فاعلموا أن ذلك استدراج» ثم قرأ قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

تعجيل العقوبة فى الدنيا

أخرج أحمد والطبرانى بإسناد صحيح من رواية الحسن البصرى (رضى الله عنه) قال: إن رجلا من الصحابة (رضى الله عنهم) رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلمها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشى فصدمه حائط، فأثر فى وجهه، فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: **«إذا أراد الله بعبد خيرا، عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا»**.

ثواب الهين اللين فى الدنيا

أخرج الترمذى من حديث ابن مسعود (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتدرون من يحرم على النار يوم القيامة، كل هين لين سهل قريب»**.

الحسد جائز فى اثنتين

أخرج البخارى ومسلم عن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن رسول الله ﷺ قال: **«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله تعالى علما، فهو يعمل به ويعلمه الناس»**.

ثم فسر ذلك فى حديث أبى كبشة الأنمارى فقال: **«مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا، فيقول: رب لو أن لى مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله، فهما فى الأجر سواء»**.

وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه.

«ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما ، فهو ينفقه فى معاصى الله ، ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا ، فيقول: لو أن لى مثل مال فلان ، لكنت أنفقته فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى ، فهما فى الوزر سواء» .

ماذا أعددت لآخرتك

روى البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ ، قام أعرابى إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب ، فقال: يا رسول الله متى الساعة ، فقال ﷺ : **«ماذا أعددت لها؟»** قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحب الله ورسوله ، فقال: **«أنت مع من أحببت»** .

* * *

obeikandl.com

الفصل الثانى
آدم عليه السلام وعذاب الدنيا

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن قسامة بن زهير: سمعت الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك**»، وقال الترمذى: حديث صحيح.

وقد ذكر السدى عن أبى مالك وأبى صالح، عن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا:

فبعث الله عز وجل جبريل فى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال رب: إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث الله ميكائيل، فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت، فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط، ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين.

فصعد به فبل التراب حتى عاد طينًا لازبا، واللازب: هو الذى يلزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عليه، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس فكان يمر به

فيضربه ، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة ، فذلك حين يقول سبحانه وتعالى: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] .

ويقول: لأمر ما خلقت ، ودخل من فيه وخرج من دبره ، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه .

نفخ الروح فى آدم

فلما بلغ آدم الحين الذى يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح ، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح ، فدخلت الروح فى رأسه عطس ، فقالت الملائكة: قل الحمد لله ، فقال: الحمد لله ، فقال الله له: رحمك ربك ، فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخلت الروح فى جوفه ، اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، وذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧] .

وروى ابن عساكر: قال عمر بن عبد العزيز: لما أمرت الملائكة بالسجود ، كان أول من سجد منهم إسرافيل ، فآتاه الله أن كتب القرآن فى جبهته .

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المقبرى ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خلق آدم من تراب ، ثم جعله طينا ثم تركه ، حتى إذا كان حمأ مسنونا ، خلقه الله وصوره ، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار ، قال: فكان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم ، ثم نفخ الله فيه من روحه ، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة به ، فقال الله: يرحمك ربك ، ثم قال الله: يا آدم اذهب إلى هؤلاء النفر فقل لهم: فانظر ماذا يقولون ، فجاء فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فقال: يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك ، فقال: يا رب وما ذريتى ، قال: اختر يدى يا آدم ، قال: أختار يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين ، فبسط كفه فإذا من هو كائن من ذريته فى كف الرحمن ، فإذا رجال منهم أفواههم النور ، وإذا رجل يعجب آدم نوره ، قال: يا رب من هذا ، قال: ابنك**

داوود ، قال: يا رب فكم جعلت لـه من العمر؟ قال: جعلت لـه ستين ، قال: يا رب ، فأتم لـه من عمرى حتى يكون عمره مائة سنة ، ففعل الله ذلك ، وأشهد على ذلك ، فلما تقدم عمر آدم ، بعث الله ملك الموت ، فقال آدم: أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ، فقال لـه الملـك: أو لم تعطها ابنك داوود ، فجحد ذلك ، فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته» .

أهل الجنة وأهل النار

وقال الإمام أحمد فى مسنده: حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا أبو الربيع عن يونس بن ميسرة ، عن أبى إدريس ، عن أبى الدرداء ، عن النبى ﷺ قال:

«خلق الله آدم حين خلقه ، فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر ، وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذى فى يمينه: إلى الجنة ولا أبالى ، وقال للذى فى كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالى» .

وفى رواية زيد فيها:

فقالوا يا رسول الله فيم العمل ، قال: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق لـه»** .

وفى رواية أخرى: خرج النبى ﷺ ومعه كتابان ، قالوا: ما هذا يا رسول الله ، قال: **«أما هـذا الكتاب ففيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وبلادهم ، وأما هذا الكتاب ففيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وبلادهم»** .

وفى حديث صححه العلامة محمد ناصر الدين الألبانى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان فقال: **«أتدرون ما هـذان الكتابان»** فقلنا: لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا ، فقال: للذى فى يده اليمنى: **«هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا»** ، ثم قال للذى فى شماله: **«هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ، ولا ينقص منهم»** ، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه ، فقال: **«سددوا**

وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يختم لـه بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أى عمل ، وإن صاحب النار ، يختم لـه بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل» ، ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ، ثم قال: «**فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير**» ، صحيح الجامع الألبانى رقم ٨٤٨) .

الميثاق من ظهر آدم

وقال الإمام مالك بن أنس (رضى الله عنهما) فى موطئه ، عن زيد بن أبى أنيسة: أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى ، أن عمر ابن الخطاب سئل عن هذه الآية:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

فقال ابن الخطاب (رضى الله عنه): سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها ، فقال: «**إن الله خلق آدم عليه السلام ، ثم مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية ، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**» .

فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل ، قال رسول الله ﷺ : «**إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخل به الجنة ، وإذا خلق الله العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخل به النار**» ، رواه الترمذى وقال: حديث حسن .

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد قوى على شرط مسلم ، حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير - يعنى ابن حازم - عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال:

«**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها ، فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قبلا ، قال:** ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن

تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]» .

﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٣] .

إكرام الله لآدم عليه السلام

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة: ٣١] .

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢] .

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣٣] .

أخبر الله تعالى: أنه خاطب الملائكة قائلا لهم: إنى جاعل فى الأرض خليفة ، فهو أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا .

فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته ، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه ، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة ، لا على وجه الاعتراض والتنقص لبنى آدم ، والحسد لهم ، كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين .

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

قال قتادة: قيل: علموا أن ذلك كائن بما رأوه ممن كان قبلهم وهم الجن .

وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما): كانت الجن قبل آدم بألفى عام ، فسفكوا الدماء ، فبعث الله لهم جندا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور .

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

أى أننا نعبدك دائما لا يعصيك منا أحد فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك ، فها نحن لا نفتر ليلا ونهارا عن عبادتك .

﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

أى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هؤلاء ما لا تعلمون ، أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون .

ثم قالت الملائكة: لن يخلق الله أعلم ولا وأعبد منا ، وأضمروا ذلك فى صدورهم .

الكرامات

فلقد أكرم الله سيدنا آدم بأربع كرامات وهى:

١ – خلقه بيده:

فلقد قال مجاهد ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهم جميعا) بإسناد جيد على شرط مسلم:

(خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش ، والقلم ، وآدم ، وجنة عدن ، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان) .

ورواه الترمذى وزاد فيه: (واحتجب من الخلق بأربع: بنار وظلمة وبنور وظلمة) .

٢ – نفخ فيه من روحه:

حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٩] .

٣ – وأمر الملائكة بالسجود له:

حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٩] .

٤ – علمه الأسماء كلها:

حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي

بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٣١] .

وجاء فى الخبر:

أن آدم عليه السلام قال: إن الله تعالى أعطى أمة محمد ﷺ أربع كرامات لم أعطانيها:

١ - أن قبول توبتى كان بمكة ، وأمة محمد يتوبون فى كل مكان فيقبل الله توبتهم .

٢ - إننى كنت لابسا ، فلما عصيت الله جعلنى عريانا ، وأمة محمد يعصون الله عراة فيلبسهم الله .

٣ - إننى لما عصيت ربى فرق بينى وبين امرأتى حواء ، وأمة محمد يعصون الله ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم .

٤ - إننى عصيت الله فى الجنة فأخرجنى منها ، وأمة محمد يعصون الله خارج الجنة فيدخلونها بالتوبة .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٣١] .

إن كنتم صادقين فى ظنكم أنبئونى بأسماء هؤلاء .

قال ابن عباس (رضى الله عنهما): هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس ، مثل: إنسان ، دابة ، أرض ، سهل ، بحر ، حبل ، حمار ، جمل ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وقال مجاهد: علمه اسم الصفحة ، القدر ، حتى الفسوة ، والفسية .

وقال الربيع: علمه أسماء الملائكة ، وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته .

والقول الراجح:

علم الله آدم الأسماء كلها صغيرها وكبيرها على التمام والكمال ، فلقد روى البخارى ومسلم من طريق سعيد وهشام ، عن قتادة عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم ، فيقولون: أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسماء**

كلها...» .

ومعنى الأسماء كلها: أى أسماء كل ما هو كائن إلى يوم القيامة من إنس وجن وشجر وحجر ومدر وحيوانات وطيور وجمادات ، والله تعالى أعلم وأعلى .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

قال الحسن البصرى: (قاس إبليس وهو أول من قاس)

وقال محمد بن سيرين: أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس ولا القمر إلا بالمقاييس ، رواهما ابن جرير .

ومعنى هذا:

إن إبليس نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم ، فرأى نفسه أشرف من آدم ، فامتنع من السجود له ، مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود ، والقياس إذا كان مقابلا للنص ، كان فاسد الاعتبار ، ثم هو فاسد فى نفسه فإن الطين أنفع وخير من النار ؛ لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو ، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق .

وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ، قالوا: كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا ، وكان اسمه عزازيل ، والحارث وكنيته: أبو كردوس ، وكان من حى من الملائكة ، يقال لهم: الجن ، وكانوا خزان الجنان ، وكان إبليس من أشرفهم ، ومن أكثرهم علما وعبادة ، وكان أولى الأجنحة الأربعة ، فمسخه الله شيطانا رجيما .

وقال الله تعالى فى سورة ص :

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص: ٧٧ - ٨٥] .

مناظرة إبليس وآدم مع الله

قال ابن أبى حاتم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال:

(إن إبليس لعنه الله تعالى قال: يا رب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وإنى لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: فأنت مسلط، قال: يا رب زدنى، قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله، قال: يا رب زدنى، قال: أجعل صدورهم مساكن لكم، وتجرون منهم مجرى الدم، قال: يا رب زدنى، قال: اجلب بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا).

فقال آدم عليه السلام:

(يا رب: قد سلطته علىّ وإنى لا أمتنع عنه إلا بك، قال تبارك وتعالى: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء، قال: يا رب زدنى، قال: الحسنة بعشر وأزيد، والسيئة واحدة أو أمحوها، قال: يا رب زدنى، قال: باب التوبة مفتوح ما كانت الروح فى الجسد، قال: يا رب زدنى، قال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ص ٥٩ جزء ٤ .

الطرد من الجنة

يقول الله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥] .

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦] .

ولقد حكى السدى عن أبى صالح وأبى مالك ، عن ابن عباس (رضى الله عنهما) وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا:

(أخرج إبليس من الجنة ، وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشى فيها وحشياً ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة ، فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها الله من ضلعه ، فسألها: من أنت ، قالت: امرأة ، قال: ولم خلقت ، قالت: لتسكن إلىّ ، فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم ، قال: حواء ، قالوا: ولم كانت حواء ، قال: لأنها خلقت من ضلع حى .

وقال البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث زائدة ، عن ميسرة الأشجعى عن أبى حازم ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال: «**استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا**» .

ولما خلق الله حواء ، أصبحت حياة آدم معها فى الجنة ، يأكلان ما لذ وطاب من أشجارها ، وقال الله لهما: لا تقربا هذه الشجرة ، قالوا: إنها شجرة الكرم ، وأنها الحنطة ، والنخلة ، والتينة والله أعلم .

واختلف المفسرون وأهل العلم على مكان الجنة: أهى فى السماء ، أم فى الأرض ، وهل هى جنة المأوى ، أم هى جنة الخلد ، أم هى جنة أعدها الله لهما ، وجعلها دار ابتلاء ، وليست جنة الخلد التى جعلها الله دار جزاء .

وقال الله تعالى فى سورة طه:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: ١٢٠] .

وقال الله سبحانه فى سورة الأعراف:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠] .

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٢١ ، ٢٢] .

العسرى

قال الشيطان لعنه الله: ما نهاكما ربكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، أى لو أكلتما منها لصرتما كذلك .

وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم ، وهى التى شجعته على أكلها .

وفى كتاب التوراة التى بأيدى أهل الكتاب: أن الذى دل حواء على الأكل من الشجرة هى الحية ، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها ، فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام ، فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فوصلا من ورق التين وعملا مآزر ، والله أعلى وأعلم .

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا على بن الحسن بن أسكاب ، حدثنا على بن عاصم عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبى كعب ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله خلق آدم رجلا طوالا ، كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأول ما بدا منه عورته ، فلما نظر إلى عورته ، جعل يشتد فى الجنة ، فأخذت شعره شجرة فنازعها ، فناداه الرحمن عز وجل: يا آدم ، منى تفر ، فلما سمع كلام الرحمن قال: يا رب.. لا ولكن استحياء**» .

وروى الحافظ ابن عساكر ، عن مجاهد قال: أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره ، فنزع جبريل التاج عن رأسه ، وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه ، وتعلق به غصن ، فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة ، فنكس رأسه يقول: العفو ، العفو ، فقال الله تعالى: أفرار منى ؟ قال: بل حياء منك يا سيدى .

وقال الأوزاعى عن حسان - وهو ابن عطية -: مكث آدم فى الجنة مائة عام ، وفى

رواية ستين عاما، وبكى على الجنة سبعين عاما، وبكى على خطيئته سبعين عاما، وبكى على ولده هابيل حين قتل أربعين عاما.

وعن الحسن قال: أهبط الله آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدستميان من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان.

وقال السدى: نزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الأسود، وقبضة من ورق الجنة فنبتت شجرة الطيب هناك.

وقال عبد الرزاق: قال معمر: أخبرنى عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبى موسى الأشعرى (رضى الله عنه) قال: أن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل وشىء، وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير.

توبة آدم

يقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

قال ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قال: الكلمات التى تاب الله بها على آدم هى: (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إنى ظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم).

وروى الحاكم فى مستدركه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضى الله عنهما): ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧] قال آدم: يا رب.. ألم تخلقنى بيدك، قيل له: بلى، ونفخت فى من روحك، قيل له: بلى، وعطست فقلت يرحمك الله، وسبقت رحمتك غضبك، فقيل له: بلى، وكتبت على أن أعمل هذا، فقيل له: بلى، قال: أفرأيت إن تبت هل أنت راجعى إلى الجنة، قال: نعم).

وروى الحاكم والبيهقى وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم**

الخطيئة قال: يا رب.. أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، فقال الله: كيف عرفت محمدا ، ولم أخلقه بعد ، فقال: يا رب ، لأنك لما خلقتنى بيدك ، ونفخت فى من روحك ، رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله: صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إلى وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك» .

قال البيهقى: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف .

وفاة آدم عليه السلام

قال محمد بن إسحاق: لما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث (وهو الابن الذى وهبه الله خلفا بعد مقتل هابيل) وعلمه ساعات الليل والنهار ، وعلمه عبادات تلك الساعات ، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك .

وكانت الوفاة يوم الجمعة ، حيث جاءته الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة ، وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثاً عليه السلام ، وقال ابن إسحاق: الشمس كسفت والقمر سبعة أيام بلياليهن .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة عن حميد ، عن الحسن ، عن يحيى - وهو ابن ضمرة السعدى قال:

رأيت شيخا بالمدينة يتكلم فسألت عنه فقالوا: هذا أبى بن كعب ، فقال: إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أى بنى . . إنى أشتهى من ثمار الجنة .

قال: فذهبوا يطلبون له ، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفؤوس والمساحى والمكاتل ، فقالوا لهم: يا بنى آدم: ما تريدون وما تطلبون - أو ما تريدون ، وأين تطلبون ، قالوا:

أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة ، فقالوا لهم: ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاؤوا ، فلما رأتهم حواء عرفتهم ، فلاذت بآدم ، فقال: إليك عنى فإنى أتيت من قبلك ، فخلى بينى وبين ملائكة ربى عز وجل .

فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه، وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه فى قبره، ثم حثوا عليه، ثم قالوا: يا بنى آدم: هذه سنتكم إسناد صحيح.

واختلفوا فى موضع دفنه، فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذى أهبط فيه فى الهند، وقيل: بجبل أبى قبيس بمكة، ويقال: أن نوحا عليه السلام، لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء فى تابوت فدفنهما ببيت المقدس، حكى ذلك ابن جرير.

وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة، وكان عمر آدم حين الوفاة اكتتب فى اللوح المحفوظ ألف سنة، وسبحان ربى وجل المتفرد بالبقاء.

قابيل وعذاب الدنيا

يقول الله تعالى:

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧].

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة: ٢٨].

﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المائدة: ٢٩].

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٣٠].

قال السدى فيما ذكر عن أبى مالك، وعن أبى صالح عن ابن عباس (رضى الله عنهما) وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ:

(أنه كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر.

حتى ولد له ابنان يقال لهما: هابيل وقابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وأن هابيل

طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال: هى أختى ولدت معى وهى أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوج بها .

فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى . . . وأنهما قربا قربانا إلى الله عز وجل أيهما أحق بالجارية . . وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما ، أتى مكة ينظر إليها .

قال الله عز وجل: هل تعلم أن لى بيتا فى الأرض ؟ قال: اللهم لا ، قال: إن لى بيتا فى مكة فأته ، فقال آدم للسماء: احفظى ولدى بالأمانة فأبت .

وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال فأبت ، فقال لقابيل. فقال: نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك .

فلما انطلق آدم ، قربا قربانا ، وكان قابيل يفخر عليه ، فقال: أنا أحق بها منك هى أختى وأنا أكبر منك وأنا وصى والدى .

القربـــان

قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن أبى المغيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) قال: (إن ابنى آدم اللذين قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، كان أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، وأنهما أمرا أن يقربا قربانا ، وإن صاحب الغنم أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وإن صاحب الحرث قرب أشر حرثه (الكودن والزوان) نبات سيئ ، غير طيبة بها نفسه .

وفى رواية أخرى:

قرب هابيل جذعة سمينة ، وقرب قابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها وأكلها ، فنزلت النار ، فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب ، وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختى ، فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين .

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى ، حدثنا الأنصارى ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ،

حدثنا محمد بن على بن الحسين ، قال: (قال آدم عليه السلام لهابيل وقابيل: إن ربى عهد إلى أنه كائن من ذريتى من يقرب القربان ، فقربا قربانا ، حتى تقر عينى إذا تقبل قربانكما ، فقربا ، وكان هابيل صاحب غنم ، فقرب أكولة غنم خير ماله ، وكان قابيل صاحب زرع فقرب مشاقة من زرعه ، فانطلق آدم معهما ، ومعهما قربانهما ، فصعدا الجبل ، فوضعا قربانهما ثم جلسوا ثلاثتهم آدم وهما ، ينظران إلى القربان ، فبعث الله نارا حتى إذا كانت فوقهما دنا منها عنق ، فاحتمل قربان هابيل وترك قربان قابيل .

فانصرفوا ، وعلم آدم أن قابيل مسخوط عليه ، فقال: ويلك يا قابيل ، رد عليك قربانك ، فقال قابيل: أحببته فصليت على قربانه ، ودعوت له فتقبل قربانه ورد على قربانى ، فقال قابيل لهابيل: لأقتلنك وأستريح منك ، دعا لك أبوك فصلى على قربانك فتقبل قربانك .

القتل

ذكر أبو جعفر الباقر: أن آدم كان مباشرا لتقريبهما القربان ، والتقبل من هابيل دون قابيل ، فقال قابيل لآدم: إنما تقبل منك لأنك دعوت له ولم تدع لى ، وتوعد أخاه فيما بينه وبينه .

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل فى الرعى ، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما بطأ به ، فلما ذهب إذا هو به ، فقال له: تقبل منك ولم يتقبل منى .

فقال: إنما يتقبل الله من المتقين ، فغضب هابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله ، وقيل: إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته ، وقيل: بل خنقه خنقا شديدا وعضه كما تفعل السباع فمات ، والله أعلم .

وفى رواية أخرى:

قال عبد الله بن وهب: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال: (أخذ برأسه ليقتله ، فاضطجع له وجعل يغمز رأسه وعظامه ، ولا يدرى كيف يقتله ، فجاءه إبليس فقال: أتريد أن تقتله ، قال: نعم ، قال: فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه ، قال:

فأخذها فألقاها عليه فشدخ رأسه، ثم جاء إبليس إلى حواء مسرعا، فقال: يا حواء، إن قابيل قتل هابيل، فقالت له: ويحك وأى شيء يكون القتل، قال: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، قالت: ذلك الموت، قال: فهو الموت.

فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهى تصيح، فقال: ما لك؟ فلم تكلمه فرجع إليها مرتين، فلم تكلمه، فقال: عليك الصيحة وعلى بناتك وبنى منها برآء).

رواه أيضا ابن أبى حاتم.

مغارة الدم

وبجبل قاسيون شمالى دمشق توجد مغارة يقال لها: مغارة الدم، مشهورة بأنها المكان الذى قتل قابيل أخاه هابيل عندها، وذلك مما تلقوه عن أهل الكتاب، فالله أعلم بصحة ذلك.

الدفن

يقول الله تعالى:

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٣١].

قال على بن أبى طلحة: عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: جاء غراب إلى غراب ميت، فحثى عليه من التراب حتى واراه، فقال الذى قتل أخاه: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

وقال ليث بن أبى سليم: عن مجاهد: (كان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتا، لا يدرى ما يصنع به يحمله ويضعه إلى الأرض، حتى رأى الغراب يدفن الغراب فقال: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

وقال ابن جرير: حدثنا بن حميد، حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن حكيم بن حكيم [illegible] حدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أنه كان يقول: (إن أشقى

الناس رجلا لابن آدم الذى قتل أخاه ، ما سفك دم فى الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شر ، وذلك أنه أول من سن القتل) .

وقال عطية العوفى: (لما قتل قابيل أخاه هابيل ندم فضمه إليه حتى أروح أى ظهرت له رائحة ، وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمى به فتأكله) .

وقال محمد بن إسحاق: عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: (لما قتله سقط فى يده ، أى ولم يدر كيف يواريه ، وذلك أنه كان فيما يزعمون: أول قتيل فى بنى آدم وأول ميت: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] .

قال: وزعم أهل التوراة أن قابيل لما قتل أخاه ، قال له الله عز وجل: يا قابيل أين أخوك هابيل ؟ قال: ما أدرى ، ما كنت عليه رقيبا ، فقال الله: إن صوت دم أخيك لينادينى من الأرض ، الآن أنت ملعون فى الأرض التى فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك ، فإن أنت عملت فى الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها فى الأرض) .

العقوبة

ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه ، فعلقت ساقه إلى فخذه ، وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت تنكيلا به ، وتعجيلا لذنبه وبغيه وحسده لأخيه .

وقال مجاهد أيضا:

(علقت إحدى رجلى القاتل بساقها إلى فخذها من يومئذ ووجهه فى الشمس حيثما دارت ، دار عليه فى الصيف حظيرة من نار ، وعليه فى الشتاء حظيرة من ثلج) .

وقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم**» .

وقد اجتمع فى فعل قابيل هذا وهذا فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وزعم أهل الكتاب فى كتابهم (التوراة) أن الله عز وجل أجّل عمر قابيل وأنظر عذابه إلى يوم القيامة ، وأنه سكن فى أرض (نود) فى شرق عدن وهم يسمونه (قنين) وأنه ولد له

خنوخ وصارت لـه ذرية كثيرة) .

وقالوا أيضا:

إن آدم عليه السلام طاف على امرأته فولدت غلاما اسمه (شيث) وقالت: من أجل أنه قد وهب لـه خلفا من هابيل الذى قتله قابيل .

وقالوا: إن حواء ولدت لآدم أربعين ولدا فى عشرين بطنا .

وقيل: مائة وعشرين بطنا فى كل واحد ذكر وأنثى . أولهم قابيل وأخته قليما . وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث .

والله تعالى أعلى وأعلم .

* * *

obeikandl.com

الفصل الثالث
قوم نوح وعذاب الدنيا

نوح رسول الله ﷺ، هو نوح بن لامك بن متو شلخ بن خنوخ - وهو إدريس - بن يرد ابن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبى البشر عليهم جميعا السلام.

وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة.

وكان مولد نوح عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وأربعين سنة.

وكانت الفترة ما بين خلق آدم وبعثة نوح عشرة قرون، كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان فى صحيحه، فلقد حدثنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، سمعت أبا سلام، سمعت أبا أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله، أنبى كان آدم، قال: «**نعم مكلم**»، قال: فكم كان بينه وبين نوح، قال: «**عشرة قرون**» الحديث على شرط مسلم ولم يخرجه.

وفى صحيح البخارى، عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام**».

الرجال الصالحون فى قوم نوح

روى البخارى: من حديث ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس (رضى الله عنهما) عند تفسير قول الله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم، عبدت.

وقال ابن جرير فى تفسيره: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس قال: كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم،

فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم، كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم.

وروى ابن أبي حاتم، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحصن بن موسى، حدثنا يعقوب عن أبي المطهر، قال: (ذكروا عند أبي جعفر - هو الباقر - وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب: أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله تعالى، قال ذكر ودا، قال: كان رجلاً صالحا، وكان محببا في قومه، فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل، وجزعوا عليه.

فلما رأى إبليس جزعهم عليه، تشبه في صورة إنسان ثم قال:

إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله، فيكون في ناديكم فتذكرونه به، قالوا: نعم، فصور لهم مثله، قال: فوضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره، قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله، ليكون له في بيته فتذكرونه، قالوا: نعم، قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به.

قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه، حتى اتخذه إلها يعبد من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد غير الله الصنم الذي سموه ودا).

طلب نوح من قومه

والمقصود: أن الفساد لما انتشر في الأرض، وعم البلاء بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقال لهم:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف: ٦٠].

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ٦١] .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٢] .

ودعاهم نوح إلى الله بأنواع الدعوة فى الليل والنهار ، والسر والإجهار بالترغيب تارة والترهيب أخرى ، وكل هذا لم ينجح فيهم ، بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان ، ونصبوا له العداوة فى كل وقت وأوان ، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به ، وتوعدوهم بالرجم والإخراج .

وتلطف نوح معهم فى الخطاب ، وترفق بهم فى الدعوة إلى الحق ، وقال:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [هود: ٢٨] .

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هود: ٢٩] .

فلبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين وهم ظالمون ، وكان كلما انقرض جيل ، وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته ، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل منه كلامه ، وصاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوح أبدا ما عاش ودائما ما بقى .

وقالوا:

﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود: ٣٢] .

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [هود: ٣٣] .

فلما يئس نوح من إصلاحهم وفلاحهم ، ورأى أنهم لا خير فيهم ، وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق ، من فعال ومقال ، دعا عليهم فغضب الله عليهم ، فقال:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٧] .

﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٨] .

ودعا وقال:

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [القمر: ١٠] .

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح: ٢٦] .

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٧] .

بناء السفينة

ظل نوح عليه السلام يدعو قومه لترك عبادة الأصنام وعبادة الواحد القهار، ولكنهم داموا على عنادهم وعصيانهم واستهزائهم من الذين آمنوا، حينئذ قال نوح:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٦] .

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٧] .

قال بعض علماء السلف: لما استجاب الله لنوح، أمره أن يغرس شجرا ليعمل به السفينة، فغرسه مائة سنة، ثم نجره فى مائة أخرى، وقيل: فى أربعين سنة، والله أعلم.

وكان صنع السفينة من خشب الساج، وقيل: من خشب الصنوبر، وهو نص التوراة، وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا، وكانت ثلاث طبقات، كل طبقة عشرة أذرع، فالطبقة السفلى للدواب والوحوش، والطبقة الوسطى للناس، والعليا للطيور، وكان باب السفينة فى عرضها، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها.

وأمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحمل فى السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله، أى بيته إلا من سبق عليه القول منهم.

ويرى ابن عباس (رضى الله عنهما) أن أول ما دخل من الطيور الدرة (نوع من الببغاء) وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار، ودخل إبليس متعلقا بذنب الحمار.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث ، حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه أن النبى ﷺ قال: «**لما حمل نوح فى السفينة من كل زوجين اثنين ، قال أصحابه: وكيف نطمئن – أو كيف تطمئن المواشى ومعنا الأسد ، فسلط الله عليه الحمى ، فكانت أول حمى نزلت فى الأرض ، ثم شكوا الفأرة ، فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا ، فأوحى الله إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها**» .

واختلف العلماء فى عدد من كان مع نوح فى السفينة .

فعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: كانوا ثمانين نفسا ومعهم نساؤهم .

وعن كعب الأحبار: قال: كانوا اثنين وسبعين نفسا - وقيل: كانوا عشرة .

أما امرأة نوح وهى أم أولاده كلهم وهم: حام ، وسام ، ويافث ، ويام .

حام: أبو الأفارقة ، وسام: أبو العرب ، ويافث: أبو الفرنجة ويأجوج ومأجوج ، ويام: ويسميه أهل الكتاب: كنعان وهو الذى غرق .

قال الله تعالى:

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٨] .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٩] .

أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة ، فنجاه بها ، وفتح بينه وبين قومه ، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه .

كما قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزخرف: ١٢ ، ١٣] .

وهكذا أمر الله سيدنا نوحاً فى بادئ الأمر: أن يكون على الخير والبركة وأن تكون

عاقبتها محمودة، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٠].

وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية وقال:

﴿ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود: ٤١].

الطوفان

ذكر ابن جرير وغيره: أن الطوفان كان فى ثالث عشر من شهر آب فى حساب القبط أى يوم ١٣ أغسطس، يقول الله تعالى:

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر: ١١].

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القمر: ١٢].

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١٣ - ١٤].

وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرا، لم تعهده الأرض قبله، ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها، وارتفع الماء على أعلى جبل فى الأرض خمسة عشر ذراعا، وهو الذى عند أهل الكتاب، وقيل: ثمانين ذراعا، وعم الماء جميع الأرض طولها وعرضها سهلها وحزنها، وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان من الأحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير.

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هود: ٤٢].

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٣].

وهذا الابن هو (يام) وكان كافرا عمل عملا غير صالح، فخالف أباه فى دينه، فهلك مع من هلك، هذا وقد نجا مع أبيه الأجانب فى النسب، لما كانوا

موافقين فى الدين والمذهب .

وقال الله: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود: ٤٨] .

وهذا أمر من الله لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض ، وأمكن السعى فيها والاستقرار عليها ، أن يهبط من السفينة التى كانت قد استقرت على ظهر جبل الجودى وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور ، وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٤] .

وهبط نوح سالما مباركا عليه ، وعلى أمم ممن سيولد بعد - أى من أولادك - فإن الله تعالى لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح ، فكان من على الأرض اليوم من سائر أجناس بنى آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم: سام وحام ويافث .

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة أن النبى ﷺ قال: «**سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم**» .

والصحيح أن الأولاد الثلاثة كانوا معه فى السفينة هم ونساؤهم وأمهم ، وهو نص التوراة ، وقد ذكر أن (حاما) واقع امرأته فى السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقة نطفته ، فولد له ولد أسود ، وهو كنعان بن حام جد السودان ، وقيل: بل رأى أباه نائما وقد بدت عورته فلم يسترها ، وسترها أخواه ، فهذا دعا عليه أن تغير نطفته ، وأن يكون أولاده عبيدا لإخوته .

ظهرت الأرض

وقال محمد بن إسحاق: لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان ، أرسل ريحا على وجه الأرض فسكن الماء وانسدت ينابيع الأرض ، فجعل الماء ينقص ويفيض ويدبر ، وكان استواء الفلك على الجودى - فيما يزعم أهل التوراة - فى الشهر السابع عشر ليال مضت

منه ، وفى أول يوم من الشهر العاشر رئيت رؤوس الجبال ، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما ، فتح نوح كوة الفلك التى صنع فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم يجد لرجلها موضعا ، فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ، ثم مضت سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ما فعل الماء ، فلم ترجع ، فرجعت حين أمست وفى فيها ورق زيتونة ، فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة دخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين ، برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك .

قوس قزح

وفيما ذكر أهل الكتاب: أن الله كلم نوحا قائلا له: اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك ، وجميع الدواب التى معك ، ولينموا وليكثروا فى الأرض ، فخرجوا ، وابتنى نوح مذبحا لله عز وجل ، وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال ، فذبحها قربانا إلى الله عز وجل ، وعهد الله إليه ألاّ يعيد الطوفان على أهل الأرض ، وجعل تذكار الميثاق القوس الذى فى الغمام وهو قوس قزح الذى روى ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه أمان من الغرق .

قال بعضهم: فيه إشارة إلى أنه قوس بلا وتر ، أى أن هذا الغمام لا يوجد طوفان كأول مرة ، والله أعلى وأعلم .

وصية نوح

قال الإمام أحمد عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما): (. . . ثم قال: إن نبى الله نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة ، قال لابنه: إنى قاص عليك وصية: آمرك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين:

آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة ضمتهن لا إله إلا الله - وبسبحان الله وبحمده ، فإن بها صلات كل شىء وبها يرزق الخلق .

وأنهاك عن الشر والكبر، قال: قلت - أو قيل يا رسول الله، هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر، أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان.

قال: «**لا**»، قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها، قال: «**لا**»، قال: هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها، قال: «**لا**»، قلت - أو قيل: يا رسول الله، فما الكبر، قال: «**سفه الحق وغمط الناس**»، وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

قبر نوح

عن ابن عباس قال: إن نوحا بعث وله أربعمائة وثمانون سنة، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة، أما قبره عليه السلام بالمسجد الحرام لما يرويه ابن جرير والأزرقي وغيره مرسلا.

وقيل: إن قبر نوح ببلدة البقاع، تعرف اليوم (بكرك نوح) وهناك جامع قد بنى بسبب ذلك، والله أعلم.

***

obeikandl.com